

كتب بالإنكليزية

الضفة الغربية وقطاع غزة: جغرافيا احتلال وفك ارتباط

**The West Bank and Gaza Strip:
A Geography of Occupation and Disengagement
Elisha Efrat
Oxon, U.K.: Routledge, 2006. 216 pages.**

بات شائعاً اليوم اعتبار الأرض أنها كانت دوماً جوهر الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي؛ إلا إنه بصورة عامة، لم يتم تطوير مجموعة معقدة من المنهجيات التي تدرس موضوع الخلاف على الأرض ضمن هذا الصراع (بالإضافة إلى التاريخ الشامل للشعبين المعنيين)، إلا في أواخر الثمانينيات. وقد سبر الأكاديميون الإسرائيليون كيف تقاطعت عملية إنتاج المكان مع إنتاج الأنظمة الاقتصادية والهويات الإثنية والوطنية – ومن خلال ذلك قاموا بدراسة الديناميات السياسية الأوسع التي كوَّنت التفاعل الفلسطيني – اليهودي/الإسرائيلي خلال القرن الأخير. هذا، وساهم الباحثون الفلسطينيون أيضاً في إضفاء "البعد المكاني" على دراسة فلسطين/إسرائيل، مستخدمين مجموعة متنوعة من المنهجيات المستقاة من مختلف المجالات كالجغرافيا وعلم الاجتماع وتاريخ تنظيم المدن والهندسة المعمارية، وذلك بهدف استبيان التطور الداخلي للمجتمع الفلسطيني والصراع المتنامي مع الصهيونيين بداية، ومع دولة إسرائيل لاحقاً.

وقد تكون هذه الخلفية هي ما يغري البعض بقراءة الكتاب الأخير لإليشا إفرات المعنون "الضفة الغربية وقطاع غزة: جغرافيا احتلال وفك ارتباط"، إلا إن مقارنة هذا الكتاب بحثاً عن أحدث تطبيقات النظرية النقدية المعاصرة لموضوع الخلاف على الأرض، قد يظلمه. ففي الحقيقة، لم يحتج إفرات كثيراً إلى النقاشات النظرية المتقدمة، ذلك بأن وقائع المستوطنات الإسرائيلية وفك الارتباط (إلى المدى الذي وصلت إليه) تغني عن أي كلام، إذ إنها ترسم لوحة سهلة الفهم للديناميات الأساسية للسياسات الإسرائيلية في أثناء مرحلة أوصلو وبعدها – بدءاً بسنة 1993، ومروراً باندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول/سبتمبر 2000 بعد مرور سبع سنوات، ثم وصولاً إلى الصراع المستمر منذ ذلك الحين.

إفرات هو أستاذ فخري متقاعد كان يدرّس الجغرافيا في جامعة تل أبيب، وتبوأ عدة مناصب رفيعة في الحكومة الإسرائيلية، بما فيها رئاسة دائرة التخطيط الوطني والإقليمي. ولا شك في أن هذه السيرة المهنية منحته نفاذاً في البصيرة مكنته من رؤية كيف تطورت الجغرافيا السياسية لإسرائيل والمناطق المحتلة، وكيف يمكن للوقائع على الأرض أن تختلف، وقد اختلفت فعلاً، عن صورتها على الورق، وعن التعهدات التي كانت جزءاً من اتفاقيات فترة أوصلو.

يباشر إفرات بلهجة مخففة بما فيه الكفاية، شرح مقولته أن "نقطة انطلاق هذا الكتاب هي مهنية وواقعية وتتوخى دراسة الأرض (...) وكيفية تأثير نشاط السلطات الإسرائيلية المتعاقبة في الأراضي المحتلة منذ حزيران/يونيو 1967، في الضفة الغربية وقطاع غزة" (ص 1). وما هذا التركيز على الملاحظات "الواقعية" و"المهنية" واستعمال الأسماء العبرية للضفة الغربية – يهودا والسامرة – بدلاً من اسمها المعهود في الدراسات العلمية، أي: "الضفة الغربية"، سوى علامة مميزة من علامات الجغرافيا الإسرائيلية التقليدية. إلا إنه سرعان ما يتم نفي المضمون السياسي لذلك الاستعمال في الفقرة التالية حيث يشرح إفرات أنه "منذ بداية التسعينيات، فإن أغلبية التغييرات التي تمت، إنما حدثت وراء الحدود الرسمية (للخط الأخضر)" (ص 1)، وذلك على الرغم من الحاجات الملحة المرتبطة بتدفق موجات هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي سابقاً، وبغير ذلك من التطورات. بكلمات أخرى، فإنه في اللحظة التي كان من المفروض أن تضع عملية سلام أوصلو خاتمة للصراع العربي – الإسرائيلي، انخرطت

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx